باب التقريظ والانتقاد

عبرة وذكرى
او
كلمة حول الدستور

فصول ادبية فلسفية تتعلق بالشورى انشأها حضرة الكاتب العصري الجيد الدكتور ايوب ثابت اجابة لطلب صديقه نجيب افندي شوشاني ونشرت في جريدتي الوطن والثبات تباعاً فكان اقبال الناس على مطالعتها كبيراً وكان لها وقع في النفوس. وقد اعيد طبعها الآن في كراس واحد وأضيف اليها قصيدتان خطرة منشئها من موضوعها. كتب هذه الفصول قبل الانقلاب الاخير لكنه سبق فانباً بحدوثه واشار ببقاء جمعية الاتحاد والترقي كحارس ساهر على الدستور ريثما « يرسخ ويتأيد الحكم النيابي في البلاد » . الى ان قال وليس من خطر في بقائها او تداخلها في الشؤون بل الخطر كل الخطر انما هو في تقلص نفوذها والويل وشقاء الامة انما هما في ملاشاتها. وهاك فصلاً من هذه الفصول لما فيه من الفوائد وللدلالة على سائر ما كتب المؤلف

كيف نشأت السلطة

خلق الناس في الحقوق سواء فتقوى قوم وسادوا اليه
زعموا ان الملك آت اليهم يده يده من سلطة علويه
فكأني بهم يقولون وهماً نحن لسنا من طينة ادميه
اورثوه بعد الممات بنيهم اشاع حقوقنا البشريه
ظلموا الشعب واستبدوا دهوراً انما لم يدم رقاد البريه
قام فيهم ذوو العقول فنادوا انتم الملك والملوك الرعيه
ليس حقاً ان يحكم الكل فرد انما حق الحكم للاكثريه
ناهضوهم مستهلكين ففازوا وغدا الكل في الحقوق سويه

كل ما يرجع الحكم فيه مما يتعلق بالمجتمع الانساني الى ما قبل زمن التاريخ لا يتعدى

حد الحدس والتخمين او اذا تعدى الى ما وراء ذلك فلا يخرج عن حدود الآراء العلمية ومما يدخل تحت هذا الباب ما نحن في البحث فيه هو كيفية نشوء السلطة

كيف نشأت السلطة — صوّر لنفسك الارض والجليد لا يزال كاسياً جزءاً كبيراً من سطحها على اثر دور جليدي انقلبها والوحش من الوعل الارلندي الى دب الكهف الى واحد القرن الصوفي الى الموت الشعري يضرب في اكنافها والانسان بينها لا كساء له الاّ ما كان من جلدها ولا قوت غير ما ينازعها ولا مأوى غير ما يشاركها من كهف او شق في صخر ولا سلاح يدفع به هجماتها الاّ ما كان من قرنها او الحجر الصوان فاذا ما تصورت كل ذلك تمثل لك ما يقارب حالة اجدادك الاولين والتجئ لنفسك ان وجود الانسان على مثل تلك الحالة بين تلك الاوساط والعوامل اضطره حفظاً لكيانه الى التعاضد والتضام فكان ذلك بدء تشكيل «الجماعة» او شبهها ما شئت

ثم عد فصوّر لنفسك احد افراد «الجماعة» ممن ميزتهم الطبيعة بشدة بأس او متو عقل وقد دفعهُ حب الذات الى الانتفاع مما ميز به فيخيل لك كيف نشأت السلطة وكان هو مغتصبها

او اذا انكرت هذا المذهب فصور لنفسك ان «الجماعة» ادركوا وجه الضعف في استبقاء السلطة مشتتة وانتجوا ان جمعها يكسبهم قوة في تنازع البقاء فارتأوا عقد السلطة لواحد منهم او اكثر فالمدار واحد يدفعهم الى ذلك عامل حب الذات فيخيل لك كيف نشأت السلطة وكان هو مكتسبها

انما لا مهرب لك كيف تصورت نشأتها من التسليم بانها اما مغتصبة واما مكتسبة

[illegible] الى انها مغتصبة اوجب عليك مذهبك هذا التسليم والاقرار بحق الشعب وهو الممثل المعنوي «للجماعة» في استرداد السلطة من الممثل المعنوي لمغتصب السلطة من «الجماعة» وهو الملك

او اذا ذهبت الى انها مكتسبة سألناك هل كان اكتسابها بقيد ام من غير قيد فاذا قلت بل هو بقيد قلنا ان اقل ما يمكن ضمان هذا القيد «للجماعة» هو حق التمتع بالحرية الشخصية التي هي حق من حقوق الانسان الطبيعية . اذ لا يعقل ان الانسان معما هو مفطور عليه من حب الذات يرضى بالتنازل عن كل حقوقه لغيره . او ما ترى الرقيق المولود في العبودية يحن دوماً الى الحرية فكيف يخيل لك ان المولود فيها يرضى بالتنازل عنها . فاذا صح هذا الفرض اي ان العقد المعقود بين «الجماعة» ومكتسب السلطة تضمّن وضمن «للجماعة» حق التمتع

بالحرية الذاتية وهو كما ترى فرض معقول نتج ان كل ما كان من شأنه مساس هذه الحقوق كان منافياً ضرورة لمضمون هذا القيد . فلما كان الامر كذلك وكان الحكم الاستبدادي المطلق منافياً لهذا الحق تأتى عن ذلك بداهةً انهُ منافٍ لمضمون القيد ايضاً وكان حلولهُ محل الحكم المقيد اخلالاً بالشرط او القيد المعقود بين « الجماعة » ومكتسب السلطة فلذلك ولان للانسان حقوقاً طبيعية ولهُ حق التمتع بها ولا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة فقد حق للشعب وهو الممثل المعنوي « للجماعة » ان يعتبر العقد المعقود لغواً وان يعيد السلطة الى القيد او يستردها اليهِ من الممثل المعنوي لمكتسب السلطة في « الجماعة » وهو الملك

بل هب ان السلطة كانت مكتسبة من غير قيد فذلك لا يكون منهُ ان حقوق الانسان الطبيعية دخلت ضمن الحق المكتسب . ذلك لان هذه الحقوق هي حقوق معنوية وانما هي للانسان بصفته انساناً اي بشراً لا كفرد او مجتمع من الناس وهو وان حق لهُ التمتع بها لا يحق لهُ التصرف بها من مثل التنازل عنها . فلذلك كان ادخالها ضمن الحق المكتسب على فرض امكان وقوع ذلك عقداً فاسداً من اساسهِ وحق للشعب ان يعتبرهُ ملغى وان يظل متمتعاً بحريتهِ الذاتية وهي حق من حقوقهِ الطبيعية ما دام حياً

ثم لو فرض ان للجماعة حقاً في التصرف في حقوق الانسان الطبيعية وانهم تنازلوا عنها لصاحب السلطة المكتسبة فانما يتقيد بهذا الفعل فاعلهُ دون غيرهِ ذلك لان هذه الحقوق ملازمة للانسان ولكل فرد من المجتمع الانساني حق التمتع بها فتنازل فريق عنها لا يفقد هذا الحق من غيرهِ . فلذلك ولان الشعب لم يكن من الفئة المتنازلة عنها قد حق لهُ ان يعتبر العقد لغواً وان يظل متمتعاً بحقوقهِ الطبيعية ما دام حياً

فترى مما تقدم وقد نبهنا واياك على ما شئت من المذاهب ان لا مهرب لك كيف تصورت نشوء السلطة من الاقرار والتسليم بانها إما مغتصبة من الشعب وإما مكتسبة منهُ . فلو كان امرها كذلك وكان للانسان حقوق طبيعية لهُ حق التمتع بها وكان لا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة مستبدة حق لهُ توصلا الى حقوقهِ ان يقيد السلطة كيف شاء وليس هو بعملهِ هذا متعدياً او مستبداً بل كانت هي المتعدية المستبدة لو انكرت عليهِ هذا الحق . فكما ان العمران لا يقوم بدون وجود السلطة فهو ايضاً لا يتم والشعب مقيد مفقود الحرية . بل ما افلحت الامم المعاصرة وترقت في سلم المدنية الا بعد ان قيدت السلطة بالدستور وحلت قيود الشعب واليك التاريخ اذا رجعت اليهِ تجد الصواب في هذا القول

والفصول كلها على هذا النسق من البحث الاجتماعي الفلسفي . وقد بيّن فيها ان لا ترقي

إلاَّ بعد تقييد الملك وان لا دخل للذهب في ترقي الامم وانحطاطها ولا دخل للذهب في سياسة اوربا والحقها بقصيدتين عامرتين في موضوعيها عنوان الاولى وسلام على العظام البالية وعنوان الثانية « الحياة بعد الموت »

كتاب الحضارة القديمة

انتُدب حضرة العالم الاثري احمد بك كمال امين متحف القاهرة لالقاء المحاضرات في الجامعة المصرية عن الحضارة القديمة فالقى محاضرات كثيرة في تاريخ مصر القديم الى آخر العائلة الرابعة عشرة من الدول المصرية وجمع فيها خلاصة ما يعلم من احوال المصريين الاجتماعية في ذلك العهد . والمطلع على هذه المحاضرات يرى منها ان المصريين الاقدمين كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ارقى مما انحطوا اليه منذ مئة سنة واثباتاً لذلك ننقل بعض ذكره المؤلف في الكلام على المعارف عند المصريين قال

« نبغ في عصر الملك (شوبسيكاف) من الاسرة السادسة رجل من ارباب الرتب العالية طال عمره حتى رأى الملك (نفر كارى) ولقب نفسه في نقوش قبره ناظراً لدار الكتب فكان هذا العنوان كافياً وحده للدلالة على اتساع دائرة المعارف وعلى تقدم العلوم في عصر ذلك الملك حتى استوجب نشر المؤلفات وبناء خزانة فاخرة لها ادخروا فيها السجلات وكتب التاريخ والتقارير والتحريرات المتبادلة بين الملك وكبار العمالات والامراء . وحفظوا فيها ايضاً وقفيات للمعابد ولافراد الامة واوراقاً شاملة لمسائل شتى مما كانت تقضي به الامور في مملكة منظمة كمصر . وذلك خلاف ما كان يوجد فيها من النصوص الدينية القديمة . وما كان يتلى من الصلوات في عصر الاسر الاول وما كان يرتل من العبارات الدينية قبل (مينا) ومن المدائح لمعبودات النور وفيها الكتب السحرية والرمزية مثل كتاب الموتى وكتاب الرتب الدينية الخاصة بالمقابر وغير ذلك من الرسائل العلمية المدونة في الطب والهندسة والحساب والفلك والآداب والحكايات الفكاهية اللطيفة الخ »

وغني عن البيان ان المباني المصرية والآثار كلها من كتابات وتماثيل ونقوش تدل على مقدرة فائقة في نقل الاثقال ومهارة بالغة في الصناعة وحضارة واسعة تناولت كل المعايش وكل الحاجيات والكماليات من الحرث والزرع والخبز والطبخ الى ايلام الولائم والجلوس في مجالس الشراب والغناء والتضمخ بالعبير والملاب والتزين بالحلى المرصعة والحلل الموشاة

وفي هذه المحاضرات كثير من الصور والرسوم وبعضها غاية في الاتقان

آداب السلوك

ان من ادل الادلة على فائدة هذا الكتاب واحتياج الجمهور اليهِ نفاد الطبعة الاولى والثانية منهُ وظهور هذه الطبعة الثالثة مع كساد بضاعة الادب في بلادنا . والكتاب كذلك يحسن ان تكون نسخة منهُ في كل بيت وان يطالعهُ كل احد ولو كان المتأدب وحسن السلوك فيهِ طبعاً ولا تخلو صفحة منهُ من فائدة او فوائد مثال ذلك قولهُ

ومما يحرم فعلهُ في الهيئات الاجتماعية وضع اليد على الشعر ، ولمس الوجه والرأس عموماً ، وتقليم الاظافر ، وحك الجلد ، وادخال الاصابع في الاذن ، والبصق ، والتثاؤب ، والجشاء ، الى غير ذلك من النقائص التي يشمئز الحضور من رؤيتها * ولا مرآء ان قواعد الرقة والادب وما اصطلح الناس عليهِ من سنن الحشمة والحياء ، ورسوم الزيارات والمقابلات ، يمكن ان تعود بالفوائد والصلاح اذا استعملت حق الاستعمال ، او بالضرر والفساد اذا لم تراعَ فيها شروط الكمال ، كما لو احتفلنا بهذه الرسوم وقدمناها على غيرها من الواجبات الحقيقية ، وجعلناها اهم شاغل نصب اعيننا ، فانها تصبح وقراً على كاهلنا ، وعثرة في سبيلنا ، ونصبح هزأة للآخرين * اما اذا كانت طبيعية المجرى ، غريزية المبدإ ، خالية من التصنع والتكلف ، فقد نجونا من شرها * وقد اصاب من شبهها بثوب ناصع البياض يزين لابسهُ في حسن التحكيم ، ولا يعوقهُ عن الحركة والسير ، واقل قصور او شذوذ عما يقتضيهِ الذوق السليم يشين الاديب ويعيبهُ ، ويظهر كبقعة سوداء على ذلك الثوب الابيض ، والآداب اشبه شيء بالزيت الذي يصبُّ على ادوات الآلة لتسهل بهِ حركاتها وتسرع في دورانها ولتقي بهِ خطر الاحتكاك . وهذا هو تأثير التأدب في السلوك والمعاملات ، فانهُ يسهل حركة الاعمال ويفتح ابواب التقدم والارتقاء * وقد قيل : كل شيء يرخص اذا كثر الا الادب فانهُ اذا كثر غلا

وقولهُ

وكثيراً ما يستدلُّ على اخلاق الشخص واطواره من النظر الى ترتيب ثيابهِ ونظافتها ولونها ومقاسها * فاذا رأيت شاباً حسن القدام نظيف الثياب تحسبها كان في الغالب كريماً محباً للترتيب مواظباً على عمله ثابتاً في مبادئهِ ، واذا فضل اللون الاسود او الادكن في ثيابهِ كان رزيناً وقوراً * واما اذا بلغ في وقاية ملابسهِ من الاوساخ والغبار حتى صار يتبع نفسهُ عن الكد خوفاً عليها من التلف فهو محبٌّ لذاتهِ غير مكترث بذويهِ ومعارفهِ ، واذا بالغ

في النظافة الخارجية واهمل ثيابهُ الداخلية ونظافة جسمهِ كان مرائيًا مداهنًا —

يعطيكَ من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ منكَ كما يروغُ الثعلبُ

واذا اعتنى كثيراً بنظافة جسمهِ وترتيب ملابسهِ الداخلية دون الخارجية كان سليم النية منصفاً ينظر الى حقائق الامور لا الى ظواهرها ولا يهمهُ مدحهُ الناس او ذمهُ * ومن كان ثوبهُ نظيفاً لكنهُ غير مرتب غلب في طباعهِ الاسراف والكسل ، واذا كان بعض ملابسهِ مرتباً دون البعض الآخر فهو محب للعمل لكنهُ قليل الصبر ، واما اذا تفاوت بعضها عن بعض في الشكل او الحجم او القيمة او القدم فهو ضعيف الرأي قصير النظر لا يصلح ان يدير عملاً من الاعمال

وفي آخر الكتاب وصف اربعين لعبةً من الالعاب البيتية وشرح ٢٥ احجية وكلام مسهب على لغة الازهار والاشجار وعلى خرافات اهل الغرب وما اشبه

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس الاطفال الصناعية

رأينا منذ مدة مقالة للادي دارون زوجة السر جورج دارون بن دارون الشهير وصفت فيها مدارس الاطفال الصناعية في بلاد اسوج فاستغربنا تعلُّم الاطفال الصنائع وعملهم بها ولكننا لما زرنا دمشق هذا الصيف ورأينا معمل الخواجه نصان وجدنا فيهِ اولاداً لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات وهم يعملون في صنع الادوات النحاسية والخشبية ولاسيما في حفر النحاس بمهارة غريبة ويأخذون اجوراً غير قليلة بالنسبة الى سنهم فعدنا الى مقالة لادي دارون فوجدنا ان المدارس الصغيرة تفتح في بلاد اسوج من الصبح الى الساعة الواحدة بعد الظهر فقط فاذا كانت المدرسة لا تسع كل الاولاد أُخرج الصغار منها الذين سنهم من ٧ الى ٩ سنوات وعُدّ فيها بعد الظهر فقط فيكونون بلا مدرسة من الصبح الى الساعة